مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (38) العدد (4)2016
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (38) No. (4) 2016

التَّنـــوينُ وفاعليَّـــةُ التَّنكيـــر

الدكتورة ابتسام حمدان*
شـــحادة زكـــريَّا**

(تاريخ الإيداع 13 / 6 / 2016. قبل للنشر في 29 / 8 / 2016)

□ ملخّص □

يعدُّ هذا البحث استكمالاً لكثيرٍ من الدِّراسات التي تناولت التَّنوين أداةً من أدوات تنكير الاسم، إذ بدا اهتمام علماء العربيَّة به واضحاً وجليّاً في مؤلفاتهم وكُتبِهم، محاولين ضبط أصوله، وتلمُّس أثره في السِّياق اللغويِّ.

وقد توقَّف البحث على أصل التَّنوين في اللغات السَّاميَّة عامَّةً، وفي اللغة العربيَّة خاصَّةً، ومن ثمَّ تناول حدَّه اللغويَّ والاصطلاحيَّ عند النُّحاة واللغويين والبلاغيين، كما سلَّط الضَّوء على أنواعه، واختلاف العلماء حول عددها ودلالة كلِّ نوعٍ منها، مُبرزاً فاعليَّته الدِّلالية في الإشارة إلى تنكير الاسم باعتباره أداةً تقابل أداة التَّعريف (الألف واللام).

إضافةً إلى إظهار العوائق التي واجهت النُّحاة كتنوين الأعلام التي هي من المعارف، وصولاً إلى التَّعريف بمواطن حذفه التي حُدِّدت من قِبل النُّحاة.

الكلمات المفتاحيَّة: التَّنوين _ التَّنكير _ التَّعريف _ الدِّلالة _ الحذف .

* أستاذة _ قسم اللغة العربيَّة _ كلية الآداب والعلوم الإنسانيَّة _ جامعة تَشرين _ اللاذقيَّة _ سوريَّة
** طالب دراسات عليا (دكتوراه) _ قسم اللغة العربيَّة _ كلية الآداب والعلوم الإنسانيَّة _ جامعة تشرين _ اللاذقيَّة _ سوريَّة

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (38) العدد (4)2016
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (38) No. (4) 2016

Nunnation and Indefiniteness efficacy

Dr. Ibtisam Hamdan*
Shahada Zakaria **

(Received 13 / 6 / 2016. Accepted 29 / 8 / 2016)

□ ABSTRACT □

This research is considered a completion to many studies which dealt with nunnation as a tool of namelessness as Arabic scientists were clearly interested in nunnation in their artistic texts and books to control its origins and feel its effect in the lingual context.

Research about nunnation origins has stopped in the semetic languages, generally speaking, and in Arabic in particular.

After that its linguistic and conventional meaning was known by grammarians, linguals and eloquent people. It also spotlighted all its kinds, the linguists disagreement about its number and indication of each kind of it projecting its significance efficacy in reference to namelessness as a tool that is opposite to the definite article (alef and lam) .

In addition to show the obstacles that faced grammarians as proper names nunnation which is considered as a part of identifiers to know its omission places which were identified by grammarians .

Key word: Nunnation _ Identifinite _ Definite _ Indication _ Omission .

***Professor , Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen university, Lattakia _ Syria .**
****Postgraduate student, Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen university, Lattakia _ Syria .**

مقدِّمة:

يعدُّ التَّنوين إحدى أهمِّ ظواهر اللغة العربيَّة، وأبرز خصائصها التي انفردت بها، وتميَّزت من خلالها عن سائر اللغات الأخرى.

وقد اهتمَّ به علماء العربيَّة (قُدامى ومحدثين) اهتماماً كبيراً، فأفردوا له أبواباً وفصولاً في مؤلفاتهم محاولين ضبطَ أُصولِهِ وقواعدِهِ، ورسمَ ملامحِه. فتناولوا أنواعَهُ، وتعرَّضُوا لوظائفِهِ، وبيَّنوا أثرَهُ في السِّياقِ اللغويِّ.

وسنحاول في هذا البحث الوقوفَ عند حدِّه اللغويِّ والاصطلاحيِّ، والتَّعرُّفِ على أنواعه، ووظائفها، ولاسيِّما تنوينُ التَّنكير، لما له من أثرٍ في تحديد دلالة الاسم.

إضافةً إلى تسليط الضَّوء على مواطن حذفه وأسبابه، دون التَّطرُّق إلى امتداداته المتعلِّقة بالقراءات وعلم الأصوات بشكل عميقٍ ودقيقٍ؛ لما يتطلَّبه من مساحةٍ كبيرةٍ لا يسمح المقام بها.

أهميَّةُ البحث وأهدافه:

تكمن أهميَّة البحث في إيجاد رؤيةٍ جديدةٍ تُظهر دور التَّنوين أداةً من أدوات التنكير؛ ولاسيَّما أنَّه يدخل على الاسم لأغراضٍ ودلالاتٍ أخرى.

وللوصول إلى هذه الرُّؤية كان لزاماً على البحث تتبُّع أصل هذه الظَّاهرة (التَّنوين) في اللغة العربيَّة، واستجلاء دور علماء العربيَّة في سبيل وضع حدودها وضوابطها، ومن ثمَّ التَّوقُّف على أنواعها، ودلالة كلٍّ منها كي يتسنَّى للقارئ التَّمييز بين تنوين التَّنكير بأبعاده الدِّلالية والجماليَّة وباقي أنواعه التي لا تمتُّ إليه بصلةٍ إلَّا من حيث اللفظ.

منهجيَّةُ البحث:

إنَّ تنوُّع القضايا المرتبطة بالتَّنوين، وتناولها في هذا البحث لمقاربتها بشكلٍ علميٍّ وأكاديميٍّ استدعى اعتمادنا على المنهج اللغويِّ التَّحليليِّ، والمنهج الوصفيِّ التَّاريخيِّ؛ ولاسيَّما أنَّ البحث يجمع بين الدِّراسة النَّظريَّة التَّأصيليَّة، والدِّراسة التَّحليليَّة لبعض الشَّواهد القرآنيَّة والشِّعريَّة.

التَّنوينُ لغةً:

التَّنوينُ والتَّنوينةُ: معروفٌ. ونَوَّنَ الاسمَ: ألحقَهُ التَّنوينَ. والتَّنوينُ: أن تُنوِّنَ الاسمَ إذا أَجريْتَهُ، تقول: نَوَّنْتُ الاسمَ تنويناً، والتَّنوينُ لا يكونُ إلَّا في الأسماءِ.([1])

التَّنوينُ اصطلاحاً:

حاول النُّحاةُ وضعَ حدٍّ جامعٍ مانعٍ للتَّنوينِ، فاختلفوا في ذلك كما اختلفوا في حدِّ النَّكرة والمعرفة، إلَّا أنَّ هذا الاختلافَ في الحدود لا يعدو أن يكون اختلافاً لفظيَّاً.

1_ ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف بالقاهرة . مادة (نون)، المجلد السادس، ص 4588

يُعرِّف السّـــهيليُّ التَّنوينَ بقوله: [التَّنويــنُ: إلحاقُ الاسم نوناً ســاكنةً؛ لأنَّ التَّنوينَ مصدرُ الفعل (نوَّنتُ الحرفَ) : أي ألحقتُه نوناً].([1])

وهذا ما قاله الاستراباذي أيضاً.(2) لنلحظ في تعريف ابن الحيدرة اليمنيِّ(3) دقَّةً في تحديد الاسم المستحقِّ للتَّنوين، وهو الاسمُ المتمكِّنُ، يقول: [التَّنوينُ: نونٌ ساكنةٌ تتبعُ الاسم بعد كماله، وهو شيءٌ خاصٌّ للأسماء يدخلها علامةً للأمكن فالأمكن منها].(4) ومثلُه قولُ ابن يعيشٍ: [التَّنوينُ: نونٌ ساكنةٌ تلحق أواخر الأسماء المتمكِّنة].(5)

أمَّا ابنُ الحاجب فيحدُّه بقوله: [التَّنوين: نونٌ ساكنةٌ تتبع حركةَ الآخر، لا لتأكيد الفعل].(6) ولا يبتعدُ ابنُ هشامٍ عــن هذا الحدِّ، إذ يقول: [التَّنوينُ: نـونٌ ساكنةٌ تلحق الآخر لغير توكيد، فخرج نون حَسَن؛ لأنَّها أصلٌ، ونون ضَيْفَنَ؛ لأنَّها للطفيليِّ، ولأنَّها متحرِّكةٌ، ونون مُنكسر وانكمر؛ لأنَّها غيرُ آخر، ونون لنسفعَنْ؛ لأنَّها للتَّوكيد].(7) وكذلك حدُّ الأشموني: فالتَّنوين: [نونٌ ساكنةٌ تلحق الآخر لفظاً لا خطاً لغير توكيد].(8)

ومثله حدُّ المرادي أيضاً، إذ التَّنوين: [اسمُ النُّون السَّاكنة التي تلحق الآخر لفظاً وتسقط خطاً].(9) وهذا ما نجده في تعريف السِّيوطي، يقول: [التَّنوين نونٌ تثبت لفظاً لا خطاً، وهذا أحسن حدوده، وأخصرها، وأوجزها، إذ سائر النُّونات المزيدة السَّاكنة أو غيرها تثبت خطاً].(10)

ومثله تعريف الجرجاني، يقول: [نون ساكنة تتبع حركة الآخر، لا لتأكيد الفعل].(1)

ممَّا تقدَّم نلحظ أنَّ هذه الحدود التي وُضِعت للتَّنوين على الرَّغم من اختلافها عن بعضها البعض أحياناً؛ إلا أنَّها تهدفُ إلى حصر التَّنوين بالاسم دون الفعل أو الحرف، وتحديدِ هويَّة هذه النُّون السَّاكنة عن غيرها كنون التَّوكيد الخفيفة التي تلحقُ الفعل، إضافةً إلى اشتمال بعض الحدود على أنواعٍ محدَّدةٍ للتَّنوين دون غيرها، وهذا ما سيظهر جليّاً في تناولنا لأنواع التَّنوين وأقسامه عند النُّحاة.

1_ السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ، نتائج الفكر في النحو ، تحقيق : الشيخ : عادل أحمد عبد الموجود _ الشيخ : علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت_ لبنان ، الطبعة الأولى _ 1992 ، ص68

2_ الاستراباذي ، رضي الدين ، شرح الكافية لابن الحاجب ، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس _ بنغازي ، الطبعة الثانية _ 1996 ، ج4 ، ص482

3_ هو علي بن سليمان بن أسعد بن إبراهيم بن علي بن تميم الحارثي المدني ، وكنيته أبو الحسن ، والملقب بالحيدرة ، لم تذكر المصادر سنة ولادته ، ولكنها جميعها قد ذكرت سنة وفاته (599هـ) .

4_ اليمني ، ابن الحيدرة ، كشف المشكل في النحو ، ص279

5_ ابن يعيش ، موفق الدين بن علي النحوي ، شرح المفصل ، عنيت بطبعه ونشره : إدارة المطبعة المنيرية _ مصر ، ج9 ، ص29

6_ ابن الحاجب ، جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الإستوي المالكي ، الكافية في علم النحو والشافية في علمي التصريف والخط ،تحقيق : د. صالح عبد العظيم الشاعر ، مكتبة الآداب ، القاهرة _ 2010 ، ص56

7_ ابن هشام ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله الأنصاري المصري ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت _ 1991 ، ج 2 ، ص392

8_ الصبان ، حاشية الصَّبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشَّواهد للعيني ، تحقيق : طه عبد الرؤف سعد ، المكتبة التوفيقية ج1 ، ص70

9_ المرادي ، المعروف بابن أم قاسم ، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك شرح وتحقيق: د. عبد الرحمن علي سليمان ، دار الفكر العربي _ القاهرة ، الطبعة الأولى _ 2001 ، المجلد الأول _ ج1 ، ص275

10_ السيوطي ، جلال الدين ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تحقيق وشرح : عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة _ بيروت ، 1992 ، ج4 ، ص405

1_ الجرجاني ، علي بن محمد الشريف ، التعريفات ، مكتبة لبنان ، بيروت _ 1985 ، ص 71

إذاً، فالتَّنوينُ يدخل الكلام علامةً للأخفِّ عليهم، والأمكنِ عندهم، وهو الواحدُ النَّكرة، أي الاسمُ الذي لم يُشبه الفعل ولا الحرف. والاسمُ أخفُّ من الفعل؛ لافتقار الفعل إلى الاسم، واستغناء الاسم عنه. ولهذا دخله التَّنوين؛ لأنَّ الخفيف أولى بتحمُّل الزِّيادة.

أمَّا دخولُ التَّنوين على بعض الأسماء، نحو: (زيدٍ وعمروٍ)، وعلى الصِّفات، نحو: (قائمٍ وقاعدٍ)، وعلى التَّأنيث، نحو: (امرأة) فيرجع إلى أنَّ هذه الأسماء شابهت الفعل من وجهٍ واحدٍ فقط _ وهو كونها معرفةً، أو صفةً، أو تأنيثاً _ فلم يغلب شبهُ الفعل عليها، وإلحاق التَّنوين بها أولى؛ لأنَّها أقعدُ في الاسميَّة، وأمكنُ من الأفعال.([2])

أصلُ التَّنوين:

يرى العالم اللغويُّ برجشتراسر أنَّ [الميم الأصليَّة في أواخر الكلمات صارت نوناً عربيَّةً. وذلك أنَّ قلب الميم نوناً مطَّردٌ من جهة أنَّه حصل في كثيرٍ من الكلمات؛ لكنَّه مُقيَّدٌ من جهة أخرى أنَّه اقتصر على أواخر تلك الكلمات فقط ولم يتعدَّها إلى أوائلها ولا أواسطها، ومثاله التَّنوين؛ فإنَّ أصله ميم، كما كان في الآكديَّة والسَّبئية. مثل: بيتٌ _ baytun ، بيتٍ _ baytin بيتاً _ baytan ، أصلها: بيتُم baytum ، بيتِم baytim].(3)

ويذهب برجشتراسر إلى أنَّ الرُّكام اللغويَّ (4) الذي عُثر عليه يؤيِّد رأيه في كلمة (فم) التي ذهب الزَّمخشري إلى أنَّ الميم فيها أُبدِلت من الواو، فيقول: [وذكر الزَّمخشري أنَّ الميم في كلمة (فم) أُبدِلت من الواو، ونحن نعرف أنَّها ميمُ التَّمييم، الذي هو التَّنوين في اللغة العربيَّة، فكان الرَّفع fum ، والخفض fim ، والنَّصب fam ، والميمُ فيها لم تصر نوناً مع سائر الميمات الانتهائية، بل بقيت على حالها؛ لأنَّهم كانوا يتلقونهاكأنَّها أصليَّةٌ، فأضافوا إليها الإعراب والتَّنوين، فصارت فمٌ، فمٍ، فماً، فنُقلت الميم من آخر الكلمة إلى وسطها، ومن أجل ذلك لم يجرِ عليها القانون الصَّوتيُّ الذي بمقتضاه أصبحت الميم الانتهائيَّة نوناً في اللغة العربيَّة].(5)

فأصل التَّنوين في العربيَّة عند برجشتراسر منبثقٌ عن اللغات السَّاميَّة، ولهذا قال: [إنَّ أكثر ضلالات النَّحويين واللغويين القدماء نشأ من جهلهم باللغات السَّاميَّة].(1)

ويذهب الدُّكتور رمضان عبد التَّوَّاب مذهب برجشتراسر، فيرى أنَّ للتَّمييم بقايا في اللغة العربيَّة في كلمة(ابنم) مستشهداً بقول الملتمس:(2)

وهل لي أمٌّ غيرها إنْ هَجَوتُها أبى الله إلَّا أن أكونَ لها ابنما

2_ ينظر: سيبويه ، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الجيل _ بيروت ، الطبعة الأولى ، ج1 ، ص 20_22

3_ برجشتراسر ، التَّطوُّر النَّحوي للغة العربية ، أخرجه وصححه وعلق عليه: د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي _ القاهرة ، الطبعة الثانية _ 1994 ، ص 27

4_ الرُّكام اللغوي مصطلح صنعه الدكتور رمضان عبد التواب، ويقصد به بقايا الظواهر اللغوية المندثرة ، ينظر: د. عبد التواب ، رمضان ، بحوث ومقالات في اللغة ، مكتبة الخانجي بالقاهرة _ مكتبة الرفاعي بالرياض ، الطبعة الأولى _ 1982 ، ص 59

5_ برجشتراسر ، التَّطوُّر النَّحوي للغة العربية ، ص 51

1_ برجشتراسر ، التَّطوُّر النَّحوي للغة العربية ، ص 52

2_ ديوان الملتمس الضَّبِّي _ رواية الأشرم وأبي عبيدة عن الأصمعي ، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، 1390هـ _ 1970م ، ص30

فيعلِّق على هذا البيت قائلاً: [بدليل أنَّ الإعراب يجري في هذه الكلمة الأخيرة على النُّون والميم معاً].([3]) [ولم تكن اللغات السَّاميَّة على ما يبدو تستخدم في الأصل رمزاً أو أداةً بعينها للتَّعريف. وقد حافظت الآكاديَّة والحبشيَّة على ذلك الأمر ... وفي اللغة العربيَّة الجنوبيَّة توجد النُّون، وفي الآراميَّة الألف الممدودة اللتان توضعان في آخر الاسم المُعرَّف ... أمَّا التَّنكير فله في العربيَّة الشِّماليَّة والجنوبيَّة أداةٌ معينةٌ تلك هي الميم في الجنوبيَّة، وقد تحوَّلت هذه الميم إلى نونٍ في العربيَّة الشِّماليَّة، فأصبح في الجنوبيَّة التَّمييم، وفي الشِّماليَّة التَّنوين].(4) وفي لهجة طيء وحمير تقلب (لام) التَّعريف (ميماً)، فيصبح التَّعريف بالميم بدلاً من اللام، وبها ورد الحديث الشَّريف (ليس من امْبرِّ امْصيامُ في امْسَفر)، يريد: ليس من البرِّ الصِّيام في السَّفر. وهذه الظَّاهرة معروفةٌ عند علماء اللغة العرب بالطُّمطاميَّة.(5)

أمَّا الدَّكتور إبراهيم السامرائي، فيقول: [وأرى أنَّ النَّحويين واللغويين القدامى لم يفلحوا في التَّفرقة بين المعرفة والنَّكرة، فقد أطلقوا هذه الفروق ولم يستطيعوا أن يتبنُّوها بدقَّةٍ تامَّةٍ ... والذي أريد في هذا أنَّ التعريف باللام، وأنَّ التَّنكير بالتَّنوين شيءٌ واحدٌ، والذي يُعين على إثبات صحَّة هذه الدَّعوى ما نجده في اللغة الآكاديَّة العتيقة كنصوص حمورابي من التَّمييم الذي يقابل التَّنوين، والتَّمييم في تلك النصوص لا يُقيِّد الكلمة بالتَّنكير، فهو يدخل على الألفاظ عموماً، لا فرق بين معرفةٍ ونكرةٍ، كما أنَّه لا يوجد أداةٌ للتَّعريف ... ومكان أداة التَّعريف هو آخر الاسم في كثير من اللغات السَّاميَّة ... ونستطيع أن نخلصَ إلى القول إنَّ التَّنوين أو التَّمييم _ وهي أداةٌ صــوتيَّةٌ في آخر الكلمة _ ربما قُصِد بها التَّنبيه والإشـــارة، ثم فقدت مكانها، فصـــارت (أل) في أوَّل الكلمات للتَّعريف].(6)

هكذا يتَّضح لنا أنَّ الدَّارسين للنَّحو السَّامي المُقارن يرون أنَّ التَّمييم، تحوَّل في العربيَّة إلى تنوينٍ، والميم والنُّون من الأصوات المائعة المتوسطة التي يُمكن أن يحدث تبادلٌ صوتيٌّ بينهما؛ لقرب المخرج والصِّفة، فكلاهما صوتان إنفيان مجهوران.

أنواعُ التَّنوين:

يتَّضحُ من عنوان هذا الفصل (التَّنوين وفاعليَّةُ التَّنكير) هدفَه وغايتَه المتمثِّلة في إبراز دور التَّنوين أداةً من أدوات التَّنكير. إلَّا أنَّ التَّنوين يلحق الاسم لأغراضٍ أخرى، ولا بدَّ لنا من الوقوف على أنواع التَّنوين للتَّمييز بين تنوين التَّنكير وباقـــي الأنواع الأخرى، وهـــي خمسةٌ عند ســـيبويه والجمهور: تمكينٌ وتنكيرٌ وعِوضٌ ومقابلةٌ وترنمٌ (1) وزاد بعضُ النُّحاة أنواعاً أخرى سيتطرق إليها البحث.

الأول: تنوينُ التَّمكينِ: وهـو تنوينُ الصَّرف. (2) ويدخل علـى الاسـم المعرب المنصـرف دلالةً على أصالته، إذ لم يُشبه الحرف فيُبنى، ولا الفعل فيُمنع مـن الصَّرف، وذلك نحو: (رجلٍ وفرسٍ وزيدٍ وعمروٍ وقاضٍ وفتىً).(3)

3_ د. عبد التواب ، رمضان ، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، مطبعة الخانجي _ القاهرة ، الطبعة الثالثة _ 1997 ، ص 246_ 247

4_ المرجع السابق ، ص 241_ 242 ، 246

5_ ينظر: ابن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ج1 ، ص 59_ 60

6_ السامرائي ، إبراهيم ، فقه اللغة المقارن ، دار العلم للملايين _ بيروت ، الطبعة الثالثة _ 1983 ، ص 148_ 150

1_ ينظر: للمرادي ، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ، المجلد الأول ، ج 1 ، ص275

2_ ينظر: اليمني ، ابن الحيدرة ، كشف المشكل في النحو ، ص 279

3_ ينظر: ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج9 ، ص29

وقيل يدخل فرقاً بين الاســـم المنصرف وما لا ينصرف، وقال الكسـائي والفرَّاء بين الاســـم والفعل، وقال قُطرب والسُّهيليُّ وبعض الكوفيِّين فرقاً بين المفرد والمضاف.([4])

الثَّاني: تنوينُ التَّنكير: ويلحق المبنيَّات وما لا ينصرف، ويدخل فرقاً بين المعرفة والنَّكرة، وسُمِّي تنوينُ تنكيرٍ؛ لأنَّه يُنكِّر المعارف.(5) وهو مسموعٌ في باب اسم الفعل واسم الصَّوت، نحو: (صه، ومه، وإيه، وغاق) فإذا قلـت: (صَهْ) دون تنوينٍ أردت السُّـكوت عن حديثٍ معيَّنٍ بينك وبين مخاطَبكَ، وإذا قلت: (صهٍ) أردت سكوتاً عن أي حديث. ومثله (إيهْ) إذا استزدت مخاطبك من حديثٍ معلوم، و(إيهٍ) إذا استزدته من حديث مجهولٍ.

وخشيةُ انسحاب مدلول التَّعريف والتَّنكير على الفعل الذي بمعناه اسم الفعل، نصَّ المتأخرون من النُّحاة (6) علـى أنَّ التَّعريف أو التَّنكير في اسم الفعل ليس المرادُ منه تعريفَ الفعل الذي هو بمعناه، وإنَّما التَّعريفُ والتَّنكيرُ هنا راجعٌ إلى المصدر الذي هو أصلٌ لذلك الفعل؛ لأنَّ الفعل لا يُوسم بتعريفٍ أو تنكيرٍ لعدم الضَّرورة الدَّاعية لذلك.

ويطَّردٌ في كلِّ علمٍ مختومٍ بـ (وَيهْ)، نحو: (سيبويه وخالويه وعمرويه)، فإذا قلت: مررت بسيبويه وسيبويهٍ آخر، فسيبويه الأول هو سيبويه المعروف المعهود بينك وبين من تخاطبه، وهو معرفةٌ؛ لأنَّك لم تنون. وسيبويه الثَّاني هو شخصٌ غير معيَّن مُسمَّى بهذا الاسم، وهو نكرةٌ؛ لأنَّك نوَّنتهُ. فبناءُ الكلمة دليلٌ على التَّعريف، وتنويـنُ الكلمة _ وهو دليلُ مرونةٍ وإعرابٍ _ دليلُ تنكيرٍ.(7)

وذكر سيبويه أنَّ الاسم المفرد إذا أُضيف إلى الألقاب، نحو: (هذا سـعيدُ كُرْزٍ)، و(هذا قيسُ قُفَّةَ قد جاء)، إنَّما جعلت (قُفَّةُ) معرفةً؛ لأنَّك أردت المعرفـة التي أردتها إذا قلت: هذا قيسٌ. فلو نوَّنت (قُفَّة) صار الاســـم نكرةً؛ لأنَّ المضاف إنَّما يكون نكرةً ومعرفةً بالمضاف إليه. (1)

إذاً، فتنوينُ التَّنكير هو العلامة التي يدلُّ وجودها على أنَّ الاسم نكرةٌ، ويدلُّ حذفها على أنَّ الاسم معرفةٌ.

وقال بعض القدماء أنَّ التَّنوين اللاحق للعلم الممنوع من الصَّرف، نحو: (أحمد وعثمان وإبراهيم) هو تنوينُ تنكيرٍ، فمتى نُوِّن دلَّ ذلك على إبهامه، كقولك: (لقيت أحمداً)، أي واحداً ممَّن يُسمَّون بهذا الاسم _ على سبيل الاشتراك _ ومتى لم يُنوَّن ومُنع من الصَّرف دلَّ ذلك على تعريفه، كقولك: (لقيتُ أحمدَ).(2)

ويجعل سيبويه تنوين بعض الظروف من قبيل تنوين التَّنكير، مثلما الحال في (ضَحوةٌ وعَشيَّةٌ وغُدوةٌ وبُكرةٌ)، فـ (غُدوةَ أو بُكرةَ) متى أردت المعرفة فيهما لم تنوِّن. أما (ضَحوةٌ وعَشيَّةٌ) فلا يكونان إلَّا نكرةً على كلِّ حالٍ.(3)

الثَّالث: تنوينُ العِوض: وهو اللاحقُ للأسماء عوضاً عن حرفٍ أصليٍّ أو زائدٍ، أو عوضاً عن المضاف إليه سواء أكان جملةً أم مفرداً.

فالعِوض عن الحرف الأصليِّ، كما في الجمع المتناهي المعتل الآخر، نحو: (جوارٍ وغواشٍ) وفي (بُعَيْلٍ) تصغير (بَعْلَى)، إذ التَّنوين عوضٌ عن الياء المحذوفة بحركتها في حالتي الرفع والجر، وهذا مذهب سيبويه

4_ ينظر: الأندلسي ، أبو حيان ، ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تحقيق وشرح ودراسة : د. رجب عثمان محمد ، مراجعة : د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بمصر ، الطبعة الأولى _ 1998 ، ج2 ، ص667

5_ ينظر: الجرجاني ، عبد القاهر ، المقتصد في شرح الإيضاح ، تحقيق: د. كاظم بحر المرجان، دار الرشيد_ الجمهورية العراقية ، 1982 المجلد الأول ، ص73

6_ ينظر: الصبان ، حاشية الصَّبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، ج1 ، ص76

7_ ينظر: سيبويه ، الكتاب ، ج3 ، ص301_302

1_ ينظر: سيبويه ، الكتاب ، ج3 ، ص294_295

2_ ينظر: ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج9 ، ص29

3_ ينظر: سيبويه ، الكتاب ، ج3 ، ص293_294

والجمهور، خلافا للمبرِّد والزَّجاجيِّ اللذين زعما أنَّه عوضٌ عن الحركة فقط. وزعم بعضُ النُّحاة أنَّه تنوينُ صرفٍ. وممَّا يدلُّ على أنَّ التَّنوين عوضٌ من الياء عدمُ جواز حذف الياء إلَّا في حال دخول التَّنوين، ولهذا لا تُحذف الياء في (الجواري) و(جواريك)؛ لأنَّه لا يجوز دخول التَّنوين فيهما لأجل الألف واللام، أو الإضافة.([4])

والعِوض عن الحرف الزائد، نحو: (جندلٍ) فالتَّنوين عوضٌ عن ألف جنادل، وقائلُه ابنُ مالكٍ، والذي يظهر خلافَه، أنَّه تنوينُ صرفٍ؛ ولهذا يُجرُّ بالكسرة. وليس ذهابُ الألف التي هي علم الجمعية كذهاب الياء في نحو: (جوارٍ وغواشٍ).(5) أمَّا تنوينُ العِوض عن المضاف إليه (جملة)، فهو الملازم للظُّروف في مثل: (يومئذٍ وحينئذٍ، وما أشـبههما)، وسـمِّي كذلك؛ لأنَّه ينوب مناب جملةٍ _ كان الظَّرف مضـافاً إليها _ ويُستغنى به عن ذكرها، فيكون عوضاً منها، ومثاله، قوله تعالى: ((**إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**)) (6) فحُذفت هذه الجمل الثَّلاثة، وناب منابها. والكسرُ في (إذْ) لالتقاء الساكنين _ سكون الذال في (إذ) والتَّنوين _ كما في (صَهْ ومَهْ) عند تنوينهما. وزعم الأخفش أنَّ (إذ) مجرورةٌ بالإضافة، وكســرتها كســرة إعراب. ورُدَّ بملازمتها للبناء لشـبهها بالحرف في الوضـع، وافتقارها دائماً إلى جملة، كما في قول الشَّاعر:(1)

نَهَيْتُكَ عن طِلابِكَ أُمَّ عَمْرٍو بعاقبةٍ وأنتَ إذٍ صحيحُ

فـ (إذ) في هذا البيت ليس قبلها شيءٌ يُضاف إليها فيُتوهَّم أنَّه مخفوضٌ به.(2)

أمَّا (لاتَ أوانٍ) في قول الشَّاعر:(3)

طلبوا صُلْحنا و لاتَ أوانٍ فأجبْنَا أنْ لاتَ حينَ بَقاءِ

فذهب الجمهورُ إلى أن تنوينه تنوين تمكين، وكسرته كسرة إعراب، والخافض (لات)، وهي لغة قليلة لقوم من العرب، خلافا للمبرد فالكسرة عنده ليست كسرة إعراب ولا علما للجر، وإنما هي للالتقاء الساكنين، كما هو الحال في (إذ) الذي كسر عند التقاء الساكنين، والتنوين فيه تنوين عوض من الجملة المحذوفة التي من حق (أوان) أن يضاف إليها، تقول: (جئتك أوان قام زيدٌ)، فحذفت الجملة (جملة المضاف إليه) وعوض منها التنوين.(4)

والعوض عن المضاف إليه مفردا، نحو (كلٌّ وبعضٌ)، فقيل: التَّنوين فيهما عوضٌ عمَّا أُضيفا إليه، ومنه قوله تعالى: ((**كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**)) (5) وقوله عزَّ وجلَّ: ((**فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**))،(6) وقيل: هو تنوينُ تمكينٍ، رجع لزوال الإضافة التي كانت تُعارضه.(7)

4_ ينظر: ابن عصفور ، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي الإشبيلي ، شرح جمل الزجاجي ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه : فواز الشعار ، إشراف : د. إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، الطبعة الأولى _ 1998، ج1 ، ص37

5_ ينظر: ابن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ج2 ، ص394

6_ سورة الزلزلة ، الآية 1_2_3_4

1_ ديوان أبي ذؤيب الهذلي ، تحقيق وتخريج: د. أحمد خليل الشال ، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ، بور سعيد ، ط 1 ، 1435هـ _ 2014م ، ص99

2_ ينظر: اليمني ، ابن الحيدرة ، كشف المشكل في النحو ، ص280

3_ هذا البيت لأبي زبيد الطائي ، واسمه حرملة بن المنذر بن معد يكرب بن حنظلة ، وكان نصرانياً وعلى دينه مات بعد خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) .

4_ ينظر: ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج9 ، ص32

5_ سورة الأنبياء ، الآية 33

6_ سورة البقرة ، الآية 253

7_ ينظر: الأشموني ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك ، حققه : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت _ لبنان ، الطبعة الأولى _ 1955م ، ج1 _ ص13_ 14

الرَّابع: تنوينُ المقابلة: وهو التَّنوينُ اللاحق لجمع المؤنَّث السَّالم، والمُسمَّى به، فالجمع كقولك: (هذه مسلماتٌ، ورأيت مسلماتٍ، ومررت بمسلماتٍ)، وسمِّي تنوينُ مقابلةٍ؛ لأنَّه يقابل النُّون في جمع المذكر السالم، نحو: (هـؤلاء مسلمون، ورأيت مسلمين، ومررت بمسلمين)، والمُسـمَّى به، نحو: (عرفاتٍ)، فعرفاتٌ موضعٌ واحدٌ مُسمَّى به بإسم جمعٍ فجرى جمع مجراه، تقول: (هذه عرفاتٌ، ورأيت عرفاتٍ، ومررت بعرفاتٍ).([8])

فالتَّنوين في هذه الأسماء تنوينُ مقابلةٍ، وليس تنوينُ صرفٍ كما زعم الرَّبعيُّ؛ لثبوته مع التَّسمية به كـ (عرفاتٍ). وقال الرَّضيُّ: هو لهما. وقيل: هو عِوضٌ من الفتحة نصباً، ورُدَّ بأنَّه لو كان كذلك لم يوجد في حالتي الرفع والجر، ثم إنَّ الفتحة قد عُوِّض منها الكسرة في هذا العِوض.(1)

الخامس: تنوينُ التَّرنُّم: التَّرنُّم هو مدُّ الصَّوت بمدَّةٍ تُجانس حرف الرَّوي.(2) وتنوين التَّرنُّم هو التَّنوين اللاحق للقوافي المطلقة عوضاً من حروف المدِّ (الألف والواو والياء) لقطع التَّرنُّم الحاصل بها في لغة كثير من بني تميمٍ، وقيسٍ، خلافاً لأهل الحجاز، فإنَّهم يثبتون المدَّة ولا يعوِّضون.(3) ويلحقُ هذا التَّنوين الاسم نكرةً ومعرفةً، معرباً ومبنيَّاً، فيه الألف واللام أو ليسا فيه، كما يلحق الفعل ماضياً ومضارعاً، والحرف أيضاً.(4) ومثاله في الاسم والفعل قول العجَّاج:(5)

يا صاحِ ما هاجَ الدُّموع الذُّرَّفنْ

يريدُ: الذُّرَّفا .

مِن طللٍ كالأتحميِّ أنْهَجَنْ

يريدُ: أنهجَ .

ومثاله في الحرف، قولُ النَّابغة:(6)

أزِفَ التَّرحُّلُ غير أنَّ ركابَنا لمَّا تَزُلْ برحالِنا وكأن قَدِنْ

يريدُ: قَدِ

السَّادس: تنوينُ الغالي: ويلحق الرَّوي المقيَّد، أنكره الزَّجاجيُّ والسِّيرافيُّ؛ لأنَّه يكسر الوزن. وأثبته الأخفش،(7) وسمَّاه بذلك؛ لأنَّ الغلوَّ الزِّيادة، وهو زيادةٌ على الوزن. وزعم ابنُ الحاجب أنَّه سُمِّي غالياً لقلَّته.(8) وقال ابنُ يعيشٍ [إنَّه ضربٌ من التَّرنُّم يحصل بالنُّون نفسها؛ لأنَّها حرفٌ أغنُّ].(9)

8_ ينظر: ابن عصفور ، شرح جمل الزجاجي ، ج1 ، ص37

1_ ينظر: الأشموني ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك ، ج1 _ ص13_14

2_ ينظر: المرادي ، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ، المجلد الأول ، ج1 ، ص278

3_ ينظر: الأندلسي ، أبو حيان ، ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ج2 ، ص670

4_ ينظر: اليمني ، ابن الحيدرة ، كشف المشكل في النحو ، ص280

5_ ديوان العجاج _ رواية عبد الملك بن قُريب الأصمعي وشرحُهُ ، تحقيق: د. عبد الحفيظ السطلي ، توزيع مكتبة أطلس ، دمشق ، 1971 ، ج2 ، ص219 . والبيت في الديوان:

يا صاحِ ما هاجَ الدُّموعَ الذُّرَّفا من طَلَلٍ أمسَى تَخالُ المُصْحَفا

6_ ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق: د. محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط2 ، ص89 . والبيت في الديوان:

أفِدَ التَّرحُّلُ غير أن ركابَنا لما تَزُلْ برحالِنا وكأن قَدِ

7_ ينظر: السيوطي ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، ج4 ، ص407

8_ ينظر: الصبان ، حاشية الصَّبان ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، ج1 ، ص74

9_ السيوطي ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، ج4 ، ص407

ويدخل الاسم المتمكِّن ذي (أل) وغيره، والمبني من الاسم والحرف والفعل.([1]) ومثالُه في الاسم قول الشَّاعر:(2)

وقاتمُ الأعماقِ خاوي المُحتَرِقْنْ

وفي الحرف قول الشَّاعر:(3) لمَّا تزلْ بركابِنا وكأن قِدنْ

وفي الفعل قول الشَّاعر:(4) أقلِّي اللوم عاذلَ العِتابَنْ وقولي: إنْ أصبْتُ لقد أصَابَنْ

السَّابع: تنوينُ الاضطرار:(5) وهو تنوينُ المنادى المضموم، كما في قول الشَّاعر:(6)

سَلامُ الله يا مطرٌ عليها وليسَ عليكَ يا مطرُ السَّلامُ

فالمنادى (العلم) حقُّه البناء على الضَّم، ومذهبُ سيبويه أنَّ الشَّاعر إذا اضطَّر نوَّن المنادى، وتركه على لفظه، ولا يردُّه إلى الأصل؛ لأنَّ الضَّم فيه اطَّرد فيه حتَّى صار كالأصل. أمَّا عيسى بن عمر فاختار ردَّه إلى أصله في النَّصب؛ لأنَّ وجود التَّنوين يطالب بالرَّد إلى الأصل تشبيهاً بالنَّكرة في قولك: يا رجلاً أقبِلْ. وردَّ سيبويه على ذلك بقوله: وله وجه من القياس إذا نوِّن فطال كالنكرة، نحو: ياعشرين رجلاً، ويا ضارباً رجلاً، لطولهما، وقال سيبويه أيضاً: ولم نسمع عربيَّاً يقوله، يعني قول ""عيسى بن عمر "".(7)

الثَّامن: تنوينُ الحكاية: ذكره ابن الخبَّاز في شـرح الجزوليَّة، كأن تسمي رجلا بـ (عاقلةِ لبيبة)، فإنَّك تحكي اللفظ المُسمَّى به، وهذا اعترافٌ منه بأنَّه تنوينُ صرفٍ؛ لأنَّ الذي كان قبل التَّسمية حكى بعدها.(8)

النَّوع التَّاسع: التَّنوينُ الشَّاذُ: كقول بعضهم: هؤلاءِ قومك، حكاه أبو زيدٍ، وفائدتُه تكثيرُ اللفظ. كما قيل في ألف (قَبَعْثَرى) وقال ابنُ مالكٍ: والصَّحيحُ أنَّ هذه نونٌ زِيدت في آخر الاسم كنون (ضَيْفَن)، وليس بتنوين، ويقول ابنُ هشامٍ: وفيما قاله نظر؛ لأنَّ الذي حكاه سمَّاه تنويناً، وهذا دليلٌ منه على أنَّه سَمِعَه في الوصل دون الوقفِ، ونونُ ضَيْفَن ليست كذلك.(9)

والملحوظ ممَّا تقدَّم اختلافُ النُّحاة في عدد أنواع التَّنوين، فجعلها بعضُهم أربعةً فقط، وهـي: (التَّمكين والتَّنكير والعِوض والمقابلة). أمَّا سيبويه والجمهور فأضـافوا إليها تنويـنَ (التَّرنُّم) لتُصبح خمسةً، وذهب بعضُهم إلى أنَّها ستَّةٌ بإضافة تنوين (الغالي). إلَّا أنَّ المتفق عليه عند جميع النحاة هو تنوينا (التَّمكين والتَّنكير).

1_ ينظر: الأندلسي ، أبو حيان ، ارتشاف الضرب من لسان العرب ، ج 2 ، ص671

2_ ديوان رؤبة بن العجَّاج ، اعتنى بتصحيحه وترتيبه: وليم بن الورد البروسيّ ، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ، الكويت ، ص104 . والبيت في الديوان:

وقاتمِ الأعماقِ خاوي المُختَرقْ مشتبهِ الأعلامِ لمَّاعِ الخَفَقْ

3_ ديوان النابغة الذبياني ، ص89

4_ ديوان جرير ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، 1986 ، ص58 . والبيت في الديوان:

أقلِّي اللوم عاذلَ والعِتابَا وقولي إن أصبتُ لقد أصَابَا

5_ ينظر: المرادي ، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ، المجلد الأول ، ج 1 ، ص282

6_ شعر الأحوص الأنصاري ، جمعه وحققه عادل سليمان جمال ، قدم له: د. شوقي ضيف ، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط 2 ، 1411هـ _ 1990م ، ص 237

7_ ينظر: الصيمري ، أبو محمد عبد الله بن علي بن إسحاق ، التبصرة والتذكرة ، تحقيق : د. فتحي أحمد مصطفى ، علي الدين ، دار الفكر بدمشق ، الطبعة الأولى _ 1982 ، ج1 ، ص354_355

8_ ينظر: السيوطي ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، ج 4 ، ص408_409

9_ ينظر: ابن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ج2 ، ص396

وجميعُ أنواع التَّنوين تختَّص بالاسم باستثناء تنويني التَّرنُّم والغالي، فهما مشتركان في الاسم والفعل والحرف. وهذا ما دفع بعض النُّحاة إلى القول بإنَّ التَّنوين فيهما مجازٌ، وهو نونٌ زائدةٌ مغايرةٌ للتَّنوين كـ نون (ضَيْفَنْ). وبالتَّالي فهما ليسا من أنواع التَّنوين لثبوت النُّون مع (أل)، وفي الفعل والحرف، وفي الخط والوقف، وحذفها عند الوصل.([1]) وهو قولٌ صحيحٌ؛ لأنَّ التَّنوين من خصائص الاسم فقط، وسمةٌ من سماته.(2)

وقد علَّل ابنُ عصفور انفراد الأسماء ببعض أنواع التَّنوين دون الأسماء، قائلاً: [انفردت الأسماء بتنوين التَّمكين؛ لأنَّه يدلُّ على أنَّ الاسم أصلٌ في نفسه باقٍ على أصالته، والفعل ليس بأصل فلا يدخله تنوين ، التَّمكين. وانفردت بتنوين التَّنكير؛ لأنَّه للفرق بين المعرفة والنَّكرة، والأفعال لا تكون معارفاً فلا يدخلها تنوينُ التَّنكير. وانفردت بتنوين المقابلة؛ لأنَّه يلحقُ جمع المؤنث السَّالم، والأفعال لا يكون فيها جمعٌ، فلا يكون فيها تنوين مقابلةٍ. وانفردت بتنوين العِوض؛ لأنَّه عوضٌ من المضاف، أو من الياء الواقعة في آخر الاسم الذي لا ينصرف والأفعال لا تُضاف ولا يُحذف منها حرفُ العلَّة، فلا يكون فيها تنوينُ عِوضٍ].(3)

إلا أن ابن جني عني بالجانب الصوتي للتنوين، فأدرك أن التنوين نون ساكنة زائدة تلحق آخر الاسم، ولهذا ابتعد عن تقسيمات النحاة، وقسم التنوين إلى قسمين:

1_ الساكن: نحو، (زَيدُنْ _ زَيدَنْ _ زَيدِنْ)

2_ المتحرك: وذلك في موضعين:

_ عند التقاء الساكنين، نحو، (هذا زَيدُنِ العاقل)

_ أن تلقى عليه حركة الهمزة المحذوفة للتخفيف، نحو، (هذا زيدُنَ بوك) و(شاهدتُ زيدَنَ باك) و(مررتُ بزيدِن بيك).(4)

التَّنوينُ والدِّلالة:

لم يتوقَّف جهد النُّحاة في التَّقعيد لمفهومي التَّعريف والتَّنكير عند وضع حدٍّ لكلٍّ منهما، بل وضعوا لهما معايير تُطابق ما ذهبوا إليه في الحدود. ومن هذه المعايير ما هو **شكليٌّ**، إذ جُعلت الأداة المعيار الرَّئيس لتحديد المعرفة والنَّكرة، فالأداة التي يكون الاسم بها أو بعدها معرفةً هي (الألف واللام)، وأداة النِّداء إذا كان في المنادى لاحقةٌ تفيد البناء على ما يُرفع به. أمَّا الأداة التي لا يكون الاسم بعدها إلَّا نكرةً، فهي (ربَّ)، و(كَمْ) الخبرية، و(مَنْ) الاستغراقية، و(لا) النَّافية للجنس، و(لا) العاملة عمل ليس، والتَّنوين.(1)

ومنها ما هو **دلاليٌّ**، فالمتتبع لمصنَّفات النُّحاة القدامى [يستنبط محاور ثلاثة يقوم عليها المعيار الدِّلاليُّ في الحكم على الكلمة بالتَّنكير والتَّعريف، أوَّلها: الشُّيوع والتَّعيين، وثانيها: علمُ المخاطب والمتكلِّم، وثالثُها: الإشارةُ إلى خارج].(2) ولم يفصل النُّحاة بين معياري الشَّكل والدِّلالة، بل جعلوا كلاهما مكمِّلاً للآخر. إذاً، فالنُّحاة جعلوا التَّنوين أداةً للدِّلالة على تنكير الاسم، كما وضعوا (الألف واللام) دليلاً على تعريفه. والسُّؤال الذي يطرح نفسه، هل التَّنوين دليلٌ على تنكير الاسم أبداً؟

1_ ينظر: ابن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ج2 ، ص395_396

2_ ينظر: ابن هشام ، أبو محمد عبد الله جمال الدين الأنصاري ، شرح قطر النَّدى وبلِّ الصَّدى ، ومعه سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى ، تأليف : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية _ بيروت ، الطبعة الأولى ، 1994م ، ص39

3_ ابن عصفور ، شرح جمل الزجاجي ، ج1 ، ص40

4_ ابن جني ، أبي الفتح عثمان ، سر صناعة الإعراب ، دراسة وتحقيق: د. حسن هنداوي ، دار القلم _ دمشق ، الطبعة الثانية _ 1993 ، ج2 ، ص 490

1_ ينظر: نحلة ، محمود أحمد ، التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل ، الدكتور: مكتبة زهراء الشرق _ القاهرة ، 1999 ، ص 97

2_ المرجع السابق ، ص 21

تناولنا فيما سبق تقسيم النُّحاة للتَّنوين، ولاحظنا تداخل آرائهم في دلالته. فمنهم من جعل التَّنوين علماً للتَّمكين (تمكينُ الاسم في الاسميَّة والدِّلالة على أصالته)، ومنهم من جعله للدِّلالة على التَّنكير، وآخرون جعلوه للعوض، أو المقابلة . إلَّا أنَّ السُّهيليَّ رفض كلَّ هذه التَّقسيمات للتَّنوين عند النُّحاة، وأقرَّ أنَّ فائدة التَّنوين غير ما ذكروا، يقول: [التَّنوينُ فائدته التَّفرقة بين المنفصل والمتَّصل، فلا يدخل في الاسم إلَّا علامةً لانفصاله ممَّا بعده، ولذلك يكثر في النَّكرات لفرط احتياجها إلى التَّخصيص بالإضافة، فإذا لم تُضف احتاجت إلى التَّنوين تنبيهاً على أنَّها غيرُ مضافةٍ، ولا تكاد المعارف تحتاج إلى ذلك إلَّا فيما قلَّ من الكلام، لاستغنائها في أكثره عن زيادة تخصيص، وما لا يتصوَّر فيه الإضافة بحال كالمُضمر والمُبهم، وكذلك ما دخلته الألف واللام لا يحتاج إلى التَّنوين في شيءٍ من الكلام].([3])

والتَّنوين باتفاق جميع أصحاب القراءات القرآنيَّة يمنع الإدغام، نحو: ((**سَارِبٌ بِالنَّهَارِ**)) (4) على الرَّغم من أنَّ كلمة (سارب) تنتهي بصوت الباء، وتليها كلمة (بالنَّهار) مبدوءة بصوت الباء.(5)

وقد واجه النُّحاةَ الكثيرُ من العوائق فيما يتعلَّق بالتَّنوين، إذ مثَّل التَّنوين في الأعلام التي هـي من المعارف إشكاليَّةً في وجـه النُّحاة قدامـى ومحدثين، فقال ابن جنِّي: [فإن قلت: فإذا كان الأمـر كذلك فما بالهم نوَّنوا الأعلام؛ كزيدٍ وبكرٍ؟ قيل: جاز ذلك؛ لأنَّها ضارعت بألفاظها النَّكـرات، إذ كان تعرُّفها معنويَّاً لا لفظيَّاً، لأنَّه لا (لام) تعريف فيها، ولا إضافة].(6)

وقال الدكتور رمضـان عبد التَّوَّاب: [ويدلُّ أنَّ التَّنوين في الأعلام لتنكيرها كـذلك، أنَّه إذا تحدَّد تعريف العلم تحديداً قاطعاً بالنِّداء، مُنع التَّنوين، كقولنا مثلا: (يا محمَّدُ) و(يا عليُّ)].(1)

وهذا ما أكَّده الدكتور إبراهيم مصطفى، إذ يرى أنَّ الأصل في الأعلام ألا تنوَّن، وإذا دخلها التَّنوين، وهو علم التَّنكير، فهذا دليلٌ على أنَّ فيها نصيباً من معنى التَّنكير.(2)

ويعلِّق الدكتور محمود نحلة على رأي الدكتور إبراهيم مصطفى، قائلا: [إنَّ الدكتور إبراهيم مصطفى حاول أن يجعل التَّنوين في الأعلام إشارةً إلى أنَّ فيها نصيباً من التَّنكير، وهو غيرُ صحيحٍ؛ لأنَّ هذه الأعلام منوَّنةٌ إذا قُصد بها التَّعريف، وهي منوَّنةٌ إذا قُصد بها التَّنكير، ومعنى ذلك أنَّ التَّنوين ليس علامةً فارقةً بين التَّعريف والتَّنكير، بل الفيصل في ذلك قصدُ المتكلِّم أو علمُ المخاطب أو سياقُ الكلام].(3) ويستشهد على ما ذهب إليه بنصٍّ لسيبويه، حيث يقول: [فإن قلتَ: هذانِ زيدان منطلقانِ لم يكن الكلامُ إلَّا نكرةً ... وعلى هذا الحدِّ تقول: هذا زيدٌ من الزيدينَ، أي: هذا واحدٌ من الزيدينَ، فصار كقولك: هذا رجلٌ من الرِّجال].(4)

ويرفض الدكتور إبراهيم السَّامرائي تقييد التَّنوين بالدِّلالة على التَّنكير، فيقول: [لو كان التَّنوين مُقيَّداً بالتَّنكير لكان من العسير علينا فهمُ الأعلام التي تقبل هذا التَّنوين، وهذه الطَّائفة من الأعلام هي أكثرُ الأعلام في العربيَّة].(5)

وإذا ما انتقلنا إلـى (رُبَّ) وعلاقتها بالتَّنويـن، فإنَّنا نجد أنَّ النُّحاة مُتَّفقون على اختصاص (رُبَّ) بالاسم النَّكرة بعدها، وهذا الاسم يكون منوناً بالجرِّ، بل إنَّهم ذهبوا إلى إعماله محذوفاً بعـد الـواو، كما في قـول امرئ القيس:(6)

وليلٍ كموجِ البحر أرخى سُدُولَهُ عليَّ بأنواع الهموم ليبتلي

3_ السهيلي ، نتائج الفكر ، ص 69

4_ سورة الرعد ، الآية 10

5_ ينظر: د. شاهين ، عبد الصبور ، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي _ أبو عمرو بن العلاء ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة الأولى _ 1987 ، ص 132

6_ ابن جني ، أبي الفتح عثمان ، الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، ج3 ، ص 240

1_ د. عبد التواب ، رمضان ، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، ص 249

2_ مصطفى ، إبراهيم ، إحياء النحو ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة _ 1959 ، ص 165 _ 166

3_ د. نحلة ، محمود أحمد ، التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل ، ص 160

4_ سيبويه ، الكتاب ، ج2 ، ص 103

5_ السامرائي إبراهيم ، فقه اللغة المقارن ، ص 148

6_ ديوان امرئ القيس ، ضبطه وصححه: الأستاذ: مصطفى عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت_ لبنان ، ط5 ، 1425هـ_ 2004م ، ص117

فأطلقوا علـى (الواو) مسـمى (واو رُبَّ).([7]) وعلى الرَّغم مَّما أقرَّه النُّحاة حول (رُبَّ) والاسـم الواقع بعده، إلَّا أنَّنا نجد اضطرابهم إذا ما صادفهم وقوع اسم معرفة بعد (رُبَّ)، ممَّا يضطرُّهم إلى تأويله بالنَّكرة، يقول سيبويه: [ويقوِّي أنَّ (مَنْ) نكرةٌ، قول عمرو بن قَميئة:(8)

يا رُبَّ مَنْ يُبْغضُ أذوادَنا رُحْنَا على بغضائِه واغتَدَيْنَ

و (رُبَّ) لا يكون ما بعدها إلَّا نكرةً].(1)

ومن الشَّواهد الشِّعريَّة على تأويل الاسم المعرفة بعد (رُبَّ) بالنَّكرة، قولُ أبي مِحْجَن الثَّقفي:(2)

يا رُبَّ مِثلِكِ في النِّساء غريرةٍ بيضـاء قـد متَّعتُها بطلاق

وقول جرير:(3)

يا رُبَّ غابطنا لو كان يطلبُكُم لاقـى مُباعدةً منكم وحِرْمانا

ويُعلِّق سيبويه على هذين البيتين فيقول: [(رُبَّ) لا يقع بعدها إلَّا نكرةٌ، فذلك يدلُّك على أنَّ (غابطنا) و(مثلِكِ) نكرةٌ].(4)

هكذا نجد أنَّ تأويل النُّحاة لكثيرٍ من الظَّواهر النَّحويَّة أظهر اضطرابهم في مواجهة الحالات المخالفة لما أقرُّوه في قواعدهم، على الرَّغم من تنبُّههم إلى تعدُّد الدِّلالة، ودور السِّياق في ذلك. والأمثلةُ على ذلك في مؤلفاتهم كثيرةٌ. فابن هشامٍ فطن إلى أنَّ (أل) لها دلالاتٌ أخرى غير إفادة التَّعريف، فقسَّـم (أل) إلى ثلاثةِ أوجهٍ، [أحـدها: أن تكون اسـماً موصـولاً بمعنى (الذي) وفروعه، وهي الداخلةُ على أسماء الفاعلين والمفعولين... والثَّاني: أن تكون حرفَ تعريفٍ، وهي نوعان: عهديَّةٌ وجنسـيَّةٌ... والثَّالث: أن تكون زائدةً، وهي نوعان: لازمةٌ وغيرُ لازمةٍ].(5)

وهذا ما أدركه سيبويه أيضاً، فقال: [ومثلُ ذلك في ترك الألف واللام وبناءِ الجميع، قولهم: (عِشرُونَ درهماً) إنَّما أرادوا (عِشرينَ من الدَّراهم) فاختصروا واستخفُّوا، ولم يكن دخول(الألف واللام) يُغيِّر العشرين عن نكرته، فاستخفُّوا بترك ما لم يُحتج إليه].(6)

ممَّا سبق يظهر جليَّاً أنَّ الأداة في أحايين كثيرةٍ تفقد القدرة على تحديد الدِّلالة بدقَّةٍ، فيؤدي السِّياق ومقتضى الحال، إضافةً إلى العلاقة بين المُتكلِّم والمخاطَب دوراً بارزاً في ذلك، فكلمةُ (رجل) مثلاً نكرةٌ في الأصل، وإذا سبقت بأداة النِّداء (يا) وصارت (يا رجلُ) دلَّت على التَّعريف، على الرَّغم من خلوِّها من أداة التَّعريف أو التَّنكير، والسَّبب كما يوضِّحه ابنُ يعيشٍ هو القصدُ والخطاب.(7) وهو ما ذهب إليه الدكتور حماسة عبد اللطيف، يقول: [وهكذا نجد أنَّ عنصر الدِّلالة يتحكَّم في مسـألة التَّعريف والتَّنكير دون النَّظر إلـى الصِّيغة التي يكون عليها الاسم، سـواءٌ أكان

7_ ينظر: ابن هشام ، أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله الأنصاري ، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، ومعه كتاب : منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب ، تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ، ص 338

8_ ديوان عمر بن قميئة ، عني بتحقيقه وشرحه: د. خليل إبراهيم العيطة ، دار صادر ، بيروت ، 1994 ، ص82

1_ سيبويه ، الكتاب ، ج2 ص 108

2_ البيت لأبي محجن الثقفي ولم يرد في ديوانه ، وقد استشهد به سيبويه في (الكتاب ، ج 1 ، ص 427) ، وابن يعيش في (شرح للمفصل ، ج 2 ، 126)

3_ ديوان جرير ، ص492

4_ سيبويه ، الكتاب ، ج1 ، ص427 _ وينظر: (ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج3 ، ص51)

5_ ابن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ج1 ، ص 60 _64

6_ سيبويه ، الكتاب ، ج1 ص 203

7_ ينظر: ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج1 ، ص 126

على صورة المعرفة أم كان على صورة النَّكرة، كما يكون في المنادى المعروف بالنَّكرة المقصودة، مثل (يا رجلُ) لرجلٍ معيَّنٍ، وهو يصير معرفةً بسبب القصد وإقبال المُتكلَّم عليه].([1])

حذفُ التَّنوين:

حدَّد النُّحاة مواطن حذف التَّنوين من الاسم، وهي كالآتي:

1_ عند دخول (أل)، نحو: (الرَّجل، الكتاب) فتقول: (جاء الرَّجلُ، وقرأت الكتابَ)، وكذلك عند الوقف على المنقوص المقترن بـ (أل)، فالأجودُ عدمُ حذف الياء، فتقول: (جاء السَّاعي، ورأيت السَّاعي، ومررت بالسَّاعي)، وهنا يجوز حذف الياء في كلِّ ذلك إلَّا في حالة النَّصب.(2)

2_ عند الإضافة: يُعدُّ التَّنوين متمِّماً للاسم، والمضاف إليه متمِّم للاسم قبله، فهما متفقان في هذه الوظيفة، إلَّا أنَّ المعنى الحاصل من دخولهما على الاسم يختلف تماماً. فالتَّنوين إمَّا أن يكون للصَّرف، فيكون علماً للإعراب الأصليِّ الكامل، فلا يجتمع مع الإضافة؛ لأنَّهما يدلَّان على المعنى ذاته، ولا يجتمع في الاسم علامتان ومعناهما واحدٌ. وإمَّا أن يكون تنوينَ التَّنكير، فلا يجتمع مع الإضافة؛ لأنَّها من أدوات التَّعريف، والتَّعريف نقيضُ التَّنكير، ولا يمكن للضدَّين أن يجتمعا، فيكون الاسم معرفةً ونكرةً في آنٍ معاً. إضافةً إلى ذلك فتنوين التَّنكير يفيد التَّعميم، والإضافة تفيد التَّخصيص، وهما نقيضان أيضاً.(3)

ولهذا يُحذف التَّنوين عند الإضافة لفظيَّةً كانت أو معنويَّةً، فتقول في اللفظيَّة: (هذا مكرمُ أبيه)، وتقول في المعنويَّة: (هذا شاعرُ النِّيل).(4)

3_ عند شبه الإضافة: نحو: لا مالَ لزيدٍ، وذلك بشرط تقدير الجار والمجرور على أنَّه صفةٌ، والخبر محذوفاً، فإن قُدِّر خبراً حُذف التَّنوين للبناء.(5)

4_ في الاسم الممنوع من الصَّرف: نحو: (فاطمةَ وأحمد وعثمان)، تقول: (رأيت أحمدَ، وحضر عثمانُ).(6)

5_ الوقف: يُحذف التَّنوين من الاسم عند الوقف في حالتي الرَّفع والجرِّ، ويُبدل ألفاً في حالة النَّصب، شرط ألَّا يكون الاسمُ منتهياً بتاء التَّأنيث، نحو: شجرة. فتقول في الوقف: (جاء رجلْ، ومررت برجلْ، ورأيت رجلاً). وهـذه هـي اللغة السَّائدة بين العرب. ولكـنَّ لهجة ربيعة تقفُ على المنصـوب بحذف التَّنوين أيضـاً، فيقولون:
(رأيت رجلْ).(7)

1_ د. عبد اللطيف ، حماسة ، النحو والدلالة _ مدخل لدراسة المعنى النحوي والدلالي _ ، دار الشروق _ القاهرة ، الطبعة الأولى _ 2000 ، ص 152

2_ ينظر: ابن أبي اللطف العشائر ، محمد بن محمد ، الموضح المبين لأقسام التنوين ، تحقيق ودراسة: د. محمد عامر أحمد حسن ، 1988 ، ص21

3_ ينظر : ابن جني ، الخصائص ، ج3 ، ص65، 240

4_ ينظر: السيوطي ، جلال الدين ، الأشباه والنظائر في النحو ، تحقيق : غازي مختار طليمات ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ج2 ، ص 265

5_ ينظر: الصبان ، حاشية الصَّبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، ج 1 ، ص79

6_ ينظر: السيوطي ، الأشباه والنظائر في النحو ، ج2 ، ص 265

7_ ينظر: الصبان ، حاشية الصَّبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، ج 1 ، ص79

ويؤكِّد ابن جنِّي حذف التَّنوين عند الوقف على الاسم المنوَّن في حالتي الرَّفع والجرِّ، وثبوت الألف في حالة النَّصب، فيقول: [إنَّ بين الياء والواو قرباً ونسباً، ليس بينهما وبين الألف؛ ألا تراها تثبت في الوقف في المكان الذي تُحذفان فيه، وذلك قولك: (هذا زيدْ، ومررتُ بزيدْ)، ثمَّ تقول: (ضربتُ زيدا)].([1])

ويعلِّل النُّحاة لحاقَ الألف للاسم المنوَّن عند الوقف في حالة النَّصب، لعدم حدوث خلط بين نون التَّنوين والنُّون الأصليَّة.(2)

6_ عند الاتصال بالضَّمير: نحو: (ضاربُك_ مكرمُك) عند من قال أنَّه غيرُ مضاف.(3)

7_ في العلم المنوَّن الموصوف بـ (ابن وابنة)، شرط أن يكون متَّصلاً بـ (ابن أو ابنة)، وأن يكون (ابن) مضافاً إلى علمٍ، نحو: (جاء محمَّدُ بن عليٍّ)، فإن فصل بينهما، نحو: (جاء محمدٌ الكريم ابنُ عليٍّ)، أو أضيف لغير علمٍ، نحو: (جاء محمدٌ ابنُ أخينا) دخله التَّنوينُ.(4)

ولسيبويه في هذه المسألة قولان، **الأوَّلُ:** حذف التَّنوين إذا جعلتَ (ابن) وصفاً للاسم العلم، يقول: [كلُّ اسمٍ غالبٍ وصف بـ (ابن)، ثم أضيف إلى اسم غالبٍ أو كنيةٍ أو أُمٍّ. وذلك قولك: (هذا زيدُ بن عمرو)، وإنَّما حذفوا التَّنوين من هذا الاسم؛ لأنَّه كثُر في كلامهم؛ لأنَّ التَّنوين حرفٌ ساكنٌ وقع بعده حرفٌ ساكنٌ، ومن كلامهم أن يحذفوا الأوَّل إذا التقى ساكنان].(5)

الثَّاني: ثبوت التَّنوين إذا جعلت (ابن) بدلاً أو تكريراً للاسم العلم ، لا وصفاً له، يقول: [وتقول: (مررتُ بزيدٍ ابنِ عمرو) إذا لم تجعل (الابن) وصفاً، ولكنَّك تجعله بدلاً أو تكريراً كأجمعين].(6) [وقال ابنُ النَّحاس في (التَّعليقة): علَّل ابن عصفور حذف التَّنوين من العلم الموصوف بـ (ابن) مضاف إلى علم بعلَّة مركَّبةٍ من مجموع أمرين: وهو كثرةُ الاستعمال مع التقاء الساكنين، والنُّحاة لم يعلِّلوا إلَّا بكثرة الاستعمال فقط، بدليل حذفه من (هند بنت عاصم) على لغة من صرف هنداً، وإن لم يلتقِ هنا ساكنان. وكأنَّه لمَّا رأى انتقاض العلَّة احتاج إلى قوله: ومن العرب من يحذف لمجرد كثرة الاستعمال، وهذه العلَّة المطَّردة في الجميع لا ما علَّل به أوَّلاً].(7)

8_ عند التقاء السَّاكنين: يحذف التَّنوين للالتقاء الساكنين ، وهو اضطرارٌ(8) . ومثالُه قول الشَّاعر:(9)

فألفيته غيرَ مُسْتَعتبٍ ولا ذاكرَ الله إلَّا قليلاً

1_ ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ج1 ، ص 20

2_ ينظر: سيبويه ، الكتاب ، ج4 ، ص 166 _ وينظر: (شرح المفصل ، ابن يعيش ، ج9 ، ص69)

3_ ينظر: ابن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ج2 ، ص740

4_ ينظر: السيوطي ، الأشباه والنظائر في النحو ، ج2 ، ص 265

5_ سيبويه ، الكتاب ، ج3 ، ص 504

6_ المصدر السابق ، ج3 ، ص 508

7_ السيوطي ، جلال الدين ، الاقتراح في أصول النحو ، ضبطه وعلَّق عليه: عبد الحكيم عطية ، راجعه وقدم له: علاء الدين عطية ، دار البيروتي ، الطبعة الثانية _ 2006 ، ص 104

8_ سيبويه ، الكتاب ، ج1 ، ص 169

9_ ديوان أبي الأسود الدؤلي ، أبي الحسن السكَّري ، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين ، منشورات دار مكتبة الهلال ، ط2 ، 1418هـ _ 1998م ، ص54

9_ عند النِّداء: نحو: (يا سعدُ) للمفرد العلم، و(يا رجلُ) للنَّكرة المقصودة.([1]) ويعلِّل النُّحاة حذف التَّنوين في هذا الموضع للخفَّة، يقول سيبويه: [اعلم أنَّه لا يجوز أن تُذهب التَّنوين من الاسم الأوَّل؛ لأنَّهم جعلوا الأوَّل والآخر بمنزلة اسمٍ واحدٍ نحو، طلحة، في النِّداء، واستخفُّوا بذلك لكثرة استعمالهم إياه في النِّداء].(2)

إلَّا أنَّ الدكتور إبراهيم السَّامرائي يرى أنَّ عدم تنوين المنادى لعلَّةٍ صوتيَّةٍ، يقول: [وأرى تعليل هذا أنَّ الاسم باعتماده على جزءٍ سابقٍ، وهو (يا) النِّداء يكوِّن وحدةً صوتيَّةً ذات طولٍ معيَّنٍ محدودٍ، واقتضت هذه الزِّيادة السَّابقة حذف التَّنوين اللاحق، التماساً للمحافظة على الوحدة الصَّوتيَّة الموسيقيَّة].(3)

10_ اسمُ (لا) النَّافية للجنس: كقولك: (لا رجلَ في الدار)، ويعلِّل سيبويه سبب ترك التَّنوين في اسم (لا)

النَّافية للجنس، قائلاً: [إنَّ ترك التَّنوين لما تعمل فيه لازمٌ، لأنَّها جُعلت وما عملت فيه بمنزلة اسمٍ واحدٍ، نحو: (خمسةَ عشرَ)].(4) ويعود ليعلِّل في مكانٍ آخر حذف التَّنوين من اسم (لا) النَّافية للجنس؛ لكثرة استعمالهم له في الكلام، ولأجل التَّخفيف، فيقول: [وإذا ترك التَّنوين، فليس الاسم مع (لا) بمنزلة (خمسةَ عشرَ) ... ولكنَّه أجراه مُجرى ما ذكرت لك في النِّداء؛ لأنَّه موضعُ حذفٍ وتخفيفٍ، كما أنَّ النِّداء كذلك].(5) وهذا التَّعليل يناقض سابقه، باعتماده على الجانب الصَّوتي، إضافةً إلى نفيه لجعل (لا) النَّافية للجنس مع اسمها بمنزلة (خمسةَ عشرَ).(6) أمَّا الجرمي والزَّجاجي والسِّيرافي والرُّماني، فجعلوا حذف التنوين من اسم (لا) للتخفيف، وليس للبناء.

وذهب الدكتور إبراهيم مصطفى إلى [أنَّ التَّنوين هو علامةُ التَّنكير، والعرب يقصدون في التَّنكير إلى الواحد من كثيرٍ، والفرد الشَّائع في أفرادٍ، فإذا قُصد إلى الإحاطة وإلى جميع الأفراد، فهو عندهم في موضع التَّعريف، وهذا معنى (أل) الجنسيَّة. فالاسم بعد (لا) إذا كانت للجنس بمنزلة المعرَّف تعريف الجنس، فيُحذف منه علم التَّنكير، وهو التَّنوين].(7)

إلَّا أنَّ الدكتور إبراهيم السامرائي يرى حذف التَّنوين في هذا الموضع للتَّخفيف؛ لأنَّ (لا) مع اسمها تشكِّل وحدةً صوتيَّةً ذات طولٍ محدَّدٍ، يقول: [وعلى هذا... نستطيع أن نعلِّل نصب (لا) النَّافية لما بعدها كنصب (أنَّ) لما بعدها مع ترك التَّنوين، فتقول مثلاً (لا ريب) والرَّيب قبل دخول الأداة كلمةٌ تصلح للتَّنوين، ولكنَّه يفارقها بعد دخول الأداة عليه حفاظاً على هذه الوحدة الصَّوتيَّة].(8)

ويُسلِّط سيبويه الضَّوء على حذف التَّنوين من (اسم الفاعل العامل عمل فعله) دون أن يُذهب هذا الحذف شيئاً من المعنى، فيقول: [واعلم أنَّ العرب يستخفُّون فيحذفون التَّنوين والنُّون، ولا يتغيَّر من المعنى شيءٌ، وينجرُّ المفعول لكفِّ التَّنوين من الاسم، فصار عملُه في الجرِّ، ودخل الاسم معاقباً للتَّنوين، فجرى مجرى غلام عبد الله في اللفظ، لأنَّه

1_ ينظر: الصبان ، حاشية الصَّبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، ج 1 ، ص79

2_ ينظر: سيبويه ، الكتاب ، ج2 ، ص 208 _ وينظر (في نفس الجزء ص 283)

3_ السامرائي ، إبراهيم ، فقه اللغة المقارن ، ص145

4_ سيبويه ، الكتاب ، ج2 ، ص 274

5_ المصدر السابق ، ج2 ، ص 283

6_ السيوطي ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، ج 2 ، ص 166

7_ إحياء النحو ، إبراهيم مصطفى ، ، ص 143

8_ السامرائي ، إبراهيم ، النحو العربي نقد وبناء ، دار عمار _ عمان ، دار البيارق _ بيروت ، الطبعة الأولى _ 1997 ، ص 205

اسمٌ وإن كان ليس مثله في المعنى والعمل. وليس يغيِّر كفُّ التَّنوين إذا حذفته مستخفَّاً شيئاً من المعنى، ولا يجعله معرفةً. فمن ذلك قوله عز وجل: ((**كلُّ نفسٍ ذآئقةُ الموت**)) ([1]) و((**إنَّا مرسلو النَّاقة**)) (2)].(3)

من خلال المثالين السَّابقين اللذين استدلَّ بهما سيبويه، نلحظ حذف التَّنوين في كلمة (ذائقة) في المثال الأوَّل، وحذف النُّون في كلمة (مُرسلو) في المثال الثَّاني، لندرك أنَّ التَّنوين ونون جمع المذكر السالم مضارعتان، وحذفهما يلغي العمل لفظاً، ويبقى المعنى. إضافةً إلى أنَّ المثالين في حالة الرَّفع، فنجد الضَّمة في كلمة (ذائقة) وهي من أثقل الحركات، ونجد الواو في كلمة (مرسلو) وهي مطلٌ وإشباعٌ للضَّمة.

ممَّا تقدَّم يمكننا القول: إنَّ حذف التَّنوين في كثيرٍ من هذه المواضع قصدُه الخفَّة التي سعى إليها العرب لاستثقالهم التَّنوين، ولاسيَّما في المواضع الكثيرة الاستعمال كالنِّداء، واسم (لا) النَّافية للجنس، واسم الفاعل العامل عمل فعله. ولعلَّ ما أورده صاحبُ الخصائص تحت عنوان (بابٌ في أنَّ العرب أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها وحملناه عليها) يؤكِّد ما ذهبنا إليه، يقول: [وحدَّثنا أبو عليٍّ عن أبي بكرٍ عن أبي العبَّاس أنَّه قال: سمعت عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يقرأ " ولا الليلُ سابقُ النَّهارَ " فقلتُ له: ما تريد؟ قال: أردت سابقٌ النَّهارَ. فقلت له: فهلَّا قلته؟. قال: لو قلتُه لكان أوزن. ففي هذه الحكاية لنا ثلاثةُ أغراضٍ مستنبطةٍ منها... والآخر قولنا: إنَّها فعلت كذا لكذا؛ ألا تراه إنَّما طلب الخفَّة، يدلُّ عليه قولُه: لكان أوزن، أي أثقل في النَّفس وأقوى، من قولهم: هذا درهمٌ وازنٌ: أي ثقيلٌ له وزن، والثَّالث أنَّها قد تنطق بالشَّيء غيره في أنفسها أقوى منه؛ لإيثارها التَّخفيف].(4)

نتـائـجُ البحث:

1_ يدخلُ التَّنوينُ الكلام علامةً للأخفِّ، وهو الواحد النَّكرةُ، أي الاسمُ الذي لم يشبه الفعل ولا الحرف.

2_ يرجعُ دخول التَّنوين على بعض الأسماء، نحو: (زيدٍ وعمروٍ) وعلى الصِّفات، نحو: (قائمٍ وقاعدٍ) وعلى التَّأنيث، نحو: (امرأةٍ) إلى شبه هذه الأسماء للفعل من وجهٍ واحدٍ فقط، وهو كونها معرفةً أو صفةً أو تأنيثاً دون أن يغلب شبه الفعل عليها.

3_ أنواع التَّنوين عند سيبويه والجمهور خمسةٌ، هي: (التَّمكين والتَّنكير والعِوض والمقابلة والتَّرنُّم)، وقد زاد النُّحاة عليها أنواعاً أخرى، هي: (الغالي والاضطرار وتنوين الحكاية والشَّاذ).

4_ تنوينُ التَّمكين (الصَّرف) يدخل على الاسم المعرب المنصرف فرقاً بين ما ينصرف وما لا ينصرف، أو فرقا بين المفرد والمضاف.

5_ تنوينُ التَّنكير يلحق المبنيات وما لا ينصرف، ويدخل فرقاً بين المعرفة والنَّكرة.

6_ تنوينُ التَّرنُّم الذي يلحق القوافي المطلقة عوضاً عن أحرف المد (الألف والواو والياء) يدخل الاسم نكرةً ومعرفةً، معرباً ومبنيَّاً، وقد يلحق الفعل الماضي والمضارع، والحرف أيضاً.

7_ جعل النُّحاةُ التَّنوين أداةً للدِّلالة على تنكير الاسم، كما وضعوا (الألف واللام) دليلاً على تعريفه.

8_ التَّنوين باتفاق جميع أصحاب القراءات يمنع الإدغام.

1_ سورة آل عمران ، الآية 185

2_ سورة القمر، الآية 12

3_ سيبويه ، الكتاب ، ج1 ، ص 165 _ 166

4_ ابن جني ، الخصائص ، ج1 ، ص 249

9ـ يُحذف التَّنوين في المواضع الآتية: دخول (الألف واللام) على الاسم، وعند الإضافة أو شبهها، وفي الاسم الممنوع من الصَّرف، وعند الوقف، والاتصال بالضَّمير، وفي العلم المنوَّن الموصوف، وعند التقاء السَّاكنين، وكذلك في النِّداء للمفرد العلم والنَّكرة المقصودة، وفي اسم (لا) النَّافية للجنس.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1_ د. إبراهيم _ محمد أبو الفضل ، *ديوان النابغة الذبياني* ، دار المعارف ، الطبعة الثانية .

2_ الاسترابادي _ رضي الدِّين ، *شرح الكافية لابن الحاجب* ، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس _ بنغازي ، الطبعة الثانية _ 1996م

3_ الأشموني ، *شرح الأشموني على ألفيَّة ابن مالك المسمَّى منهج السَّالك إلى ألفيَّة ابن مالك* ، حققه : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت _ لبنان ، الطبعة الأولى _ 1955م

4_ الأندلسي _ أبو حيَّان ، *ارتشاف الضَّرب من لسان العرب* ، تحقيق وشرح ودراسة : د. رجب عثمان محمد، مراجعة : د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي بمصر ، الطبعة الأولى _ 1998م

5_ ابن جنِّي _ أبي الفتح عثمان ، *الخصائص* ، تحقيق : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية

6_ ابن جنِّي _ أبي الفتح عثمان ، *سرُّ صناعة الإعراب* ، دراسة وتحقيق: د. حسن هنداوي ، دار القلم _ دمشق ، الطبعة الثانية _ 1993م

7_ ابن الحاجب _ جمال الدِّين عثمان بن عمر بن أبي بكر المصريِّ الإستويِّ المالكيِّ ، *الكافية في علم النَّحو والشَّافية في علمي التَّصريف والخط* ، تحقيق : د. صالح عبد العظيم الشاعر ، مكتبة الآداب ، القاهرة _ 2010م

8_ ابن عصفور _ أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمَّد بن علي الإشبيليِّ ، *شرح جمل الزَّجاجيِّ* ، قدَّم له ووضع هوامشه وفهارسه : فواز الشَّعار ، إشراف : د. إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت _ لبنان ، الطبعة الأولى _ 1998م

9_ ابن منظور ، *لسان العرب* ، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف بالقاهرة .

10_ ابن هشام _ أبو محمَّد عبد الله جمال الدِّين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله الأنصاريِّ ، *شرح شذور الذَّهب في معرفة كلام العرب* ، ومعه كتاب : *منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذَّهب* ، تأليف: محمَّد محي الدِّين عبد الحميد ، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير ، القاهرة _ 2004

11_ ابن هشام _ أبو محمَّد عبد الله جمال الدِّين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله الأنصاريِّ ، *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب* ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت _ 1991م

12_ ابن هشام ، أبو محمد عبد الله جمال الدين الأنصاري ، *شرح قطر النَّدى وبلِّ الصَّدى* ، ومعه سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى ، تأليف : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية _ بيروت ، الطبعة الأولى، 1994م

13_ ابن الورد البروسيّ _ وليم ، *ديوان رؤبة بن العجَّاج* ، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ، الكويت .

14_ ابن يعيش _ موفق الدِّين بن علي النَّحويِّ ، *شرح المفصَّل* ، عنيت بطبعه ونشره : إدارة المطبعة المنيرية _ مصر .

15_ ابن أبي اللطف العشائر _ محمَّد بن محمَّد ، *الموضِّح المبين لأقسام التَّنوين* ، تحقيق ودراسة: د. محمد عامر أحمد حسن ، 1988م

16_ برجشتراسر ، *التَّطوُّر النَّحويُّ للُّغة العربيَّة* ، أخرجه وصححه وعلق عليه: د. رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي _ القاهرة ، الطبعة الثانية _ 1994م

17_ الجرجاني _ عبد القاهر ، *المقتصد في شرح الإيضاح* ، تحقيق: د. كاظم بحر المرجان، دار الرشيد_ الجمهورية العراقية _ 1982م

18_ الجرجاني _ علي بن محمَّد الشَّريف ، *التَّعريفات* ، مكتبة لبنان، بيروت _ 1985م

19_ جرير ، *ديوان جرير* ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، 1986 .

20_ جمال _ عادل سليمان ، *شعر الأحوص الأنصاري* ، قدم له: د. شوقي ضيف ، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط2 ، 1411هـ _ 1990م ،

21_ السَّامرائي _ إبراهيم ، *فقه اللغة المقارن* ، دار العلم للملايين _ بيروت ، الطبعة الثالثة _ 1983م

22_ السَّامرائي _ إبراهيم ، *النَّحو العربيُّ نقد وبناء* ، دار عمار _ عمان ، دار البيارق _ بيروت ، الطبعة الأولى _ 1997م

23_ السكَّري _ أبو الحسن ، *ديوان أبي الأسود الدؤلي* ، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين ، منشورات دار مكتبة الهلال ، الطبعة الثانية ، 1418هـ _ 1998م .

24_ د. السطلي _ عبد الحفيظ ، ديوان العجاج _ رواية عبد الملك بن قُريب الأصمعي وشرحُهُ _ ، توزيع مكتبة أطلس ، دمشق ، 1971

25_ السُّهيلي _ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ، *نتاج الفكر في النَّحو* ، تحقيق : الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود _ الشيخ : علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت_ لبنان ، الطبعة الأولى _ 1992م

26_ سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، *الكتاب* ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الجيل _ بيروت ، الطبعة الأولى .

27_ السِّيوطي _ جلال الدِّين ، *الأشباه والنَّظائر في النَّحو* ، تحقيق : غازي مختار طليمات ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

28_ السِّيوطي _ جلال الدَّين ، *الاقتراح في أصول النَّحو* ، ضبطه وعلَّق عليه: عبد الحكيم عطية ، راجعه وقدم له: علاء الدين عطية ، دار البيروتي ، الطبعة الثانية _ 2006م

29_ السِّيوطي _ جلال الدَّين ، *همع الهوامع في شرح جمع الجوامع* ، تحقيق وشرح : عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة _ بيروت ، 1992م

30_ د. الشال _ أحمد خليل ، *ديوان أبي ذؤيب الهذلي* ، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ، بور سعيد ، ط1 ، 1435هـ _ 2014م

31_ شاهين _ عبد الصَّبور ، *أثر القراءات في الأصوات والنَّحو العربيِّ* _ أبو عمرو بن العلاء ، تأليف: ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة الأولى _ 1987م

32_ الصَّبان ، *حاشية الصَّبان _ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشَّواهد للعيني* ، تحقيق : طه عبد الرَّؤوف سعد ، المكتبة التوفيقية

33_ الصَّيرفي _ حسن كامل ، ديوان الملتمس الضَّبِّي _ رواية الأشرم وأبي عبيدة عن الأصمعي _ ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، 1390هـ _ 1970م

34_ الصَّيمري _ أبو محمَّد عبد الله بن علي بن إسحاق ، *التَّبصرة والتَّذكرة* ، تحقيق : د. فتحي أحمد مصطفى ، علي الدين ، دار الفكر بدمشق ، الطبعة الأولى _ 1982م

35_ عبد التَّوَّاب _ رمضان ، *بحوث ومقالات في اللغة* ، مكتبة الخانجي بالقاهرة _ مكتبة الرفاعي بالرياض، الطبعة الأولى _ 1982م

36_ عبد التَّوَّاب _ رمضان ، *المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغويِّ* ، مطبعة الخانجي _ القاهرة ، الطبعة الثالثة _ 1997م

37_ عبد الشَّافي _ مصطفى ، *ديوان امرئ القيس* ، دار الكتب العلمية ، بيروت_ لبنان ، الطبعة الخامسة ، 1425هـ_ 2004م ،

38_ عبد اللطيف _ حماسة ، *النَّحو والدِّلالة _ مدخل لدراسة المعنى النَّحويِّ والدِّلاليِّ* _ ، دار الشروق _ القاهرة ، الطبعة الأولى _ 2000م

39_ د. العيطة _ خليل إبراهيم ، *ديوان عمر بن قميئة* ، دار صادر ، بيروت ، 1994 ،

40_ المرادي _ ابن أم قاسم ، *توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفيَّة ابن مالك* ، شرح وتحقيق: د. عبد الرحمن علي سليمان ، دار الفكر العربي _ القاهرة ، الطبعة الأولى _ 2001م

41_ مصطفى _ إبراهيم ، *إحياء النَّحو* ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1413هـ _ 1959م

42_ نحلة _ محمود أحمد ، *التَّعريف والتَّنكير بين الدِّلالة والشَّكل* ، مكتبة زهراء الشرق _ القاهرة ، 1999م

43_ اليمني _ ابن الحيدرة ، *كشف المشكل في النَّحو* .